

محاضرة علم اللغة

أ.د. محمد بشير حسن

علم الجغرافية اللغوية أو (الأطلس اللغوي)

علم اللغة له صلة بعلوم أخرى ومن هذه العلوم علم الجغرافية، فقد استعان علم اللغة منذ زمن بعيد بعلم الجغرافية ليضع حدوداً لغوية للهجات العربية المختلفة، فقد وضعوا خرائط توضح أماكن القبائل العربية آنذاك، وفي العصر الحديث تطورت هذه الخرائط فأصبحت تتناول معالم كل لهجة، وتفرق بين لهجة وأخرى، وتطلعنا على الاختلافات الصوتية والمفردات في اللغات المختلفة.

ولعلم الجغرافية اللغوية فوائد، منها:

- ١ . دراسة اللهجات لذاتها، دراسة علمية عميقة لاكتشاف ما فيها من خصائص الصوت والبنية والدلالة والتركيب، ولمعرفة التغيرات المختلفة.
- ٢ . إثراء الدراسات في العربية الفصحى نفسها، فالمسح الجغرافي يتيح لنا كتابة تاريخ اللغة في عصورها المختلفة، ويُمكننا من معرفة أقرب اللهجات العربية إلى اللغة الفصحى، ومقارنتها باللغات السامية القديمة.
- ٣ . يمكننا من معرفة امتداد اللهجات العربية القديمة في الوطن العربي .
- ٤ . إمكانية المقارنة بين اللهجات العربية مع اللغات السامية القديمة .

طريقة عمل الأطلس اللغوي

بدأت فكرة الأطلس اللغوي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وكانت البداية في ألمانيا وفرنسا، فقد قام كل من فنكر (wenker) الألماني، وجليرون (Gillieron) الفرنسي بمحاولتين في هذا الصدد، ونأخذ كل منهما على حدة:

- ١ . الطريقة الألمانية: ابتكر هذه الطريقة العالم اللغوي الألماني فنكر (wenker)، فقد بدأ بمدينة (دُوسلدُورف) وما حولها في عام ١٨٧٦م، ثم وسع عمله حتى شمل الأمبراطورية الألمانية كلها فقد بلغت ٤٩٣٦٣ جهة، وتبلغ خمسين ألف نقطة تسجيل، فقد ألف أربعين جملة منتقاة من الكلام المتداول بين الناس في حياتهم اليومية بألمانيا، ووضعها في استبانة فيها بيانات الراوي والمسجل اللغويين والجهة التي

١٥٢

صحيفة أسئلة لغوية خاصة باللهجات الألمانية

الجهة التي سمعت فيها اللهجة وسجلت :

المركز : المقاطعة :

الراوي الذي نقلت عنه اللهجة	المسجل الذي سمع اللهجة ودونها
الاسم :	الاسم :
السن :	السن :
المهنة :	المهنة :
محل الميلاد :	محل الميلاد :
الجملة في الألمانية الفصحى	الجملة في اللهجة المحلية
١ - تسقط أوراق الشجر في الشتاء وتتناثر في الهواء .	...
٢ - ضع شيئاً من الفحم في الفرن حتى يغلي اللبن	...
٣ - إنه يأكل البيض دائماً بغير ملح أو فلفل .	...
٤ - تؤلمني قدماي بشدة والظاهر أنني سرت أكثر مما يجب .	...
٥ - ألا يمكنكم الانتظار لحظة حتى نذهب معكم ؟	...
٦ - لقد خرجت الكلمة من قلبه .	...
الخ...	...

وقد أرسلت هذه الاستثمارات إلى الجهات المختلفة في ألمانيا والتي بلغت حوالي خمسين ألف جهة، بصفة رسمية وعلى نفقة الحكومة، أما المسجلون فأغلبهم كانوا من المعلمين والمدرسين في المدارس الأولية وهؤلاء لهم معرفة بأحوال القرى بسبب إقامتهم بها، واتصالهم بالناس اتصالا كبيرا ولثقافتهم التي أهلتهم لتسجيل النطق، وتصويره كتابيا تصويرا قائما على أساس وإحساس لغويين لا باس بهما، وتحمل هذه المحاولة صفة رسمية تحضى بعناية الحكومة الألمانية وعلى نفقتها.

وتجمع الإجابات في المركز الرئيس لعمل الأطلس ثم يقوم بعمل خريطة لكل كلمة على حدة وتُفرع صور اللفظ وصيغه ومترادفاته على خرائط تفصيلية تشتمل على بلاد الأقاليم جميعها، ثم يحدد عليها المناطق اللغوية المختلفة، وبعد هذا تُرسم الخريطة العامة الحدود النهائية للمناطق اللغوية على وجه الإجمال.

٢. الطريقة الفرنسية

تعتمد هذه الطريقة على انتخاب قرى وبلاد تمثل على حد كبير البيئة اللغوية التي توجد فيها البلدة أو القرية فيها، وقد بلغ مجموع هذه البلاد في أطلس إيطاليا حوالي اربعمئة بلدة. وألف وجليرون (Gillieron) كتابا خاصا يُعرف بكتاب الأسئلة، يحتوي على ألفي سؤال، أو على ألفين وخمسمائة، ويراعى في الأسئلة مايلي:

١. أن تكون شاملة لأهم الأشياء التي تشاهد في المدن والقرى على السواء.
٢. أن تكون محتوية على أكثر الألفاظ شيوعا في الحياة اليومية.
٣. ترتيب الأسئلة ترتيبا موضوعيا بحيث يختص كل جزء من الأطلس بموضوع او بعدة موضوعات.

ومن أمثلة ذلك الأطلس اللغوي لإيطاليا:

- أ. أسماء الأهل وذوي القربى، كالعم والخال والأج والأخت وغيرهم.
- ب. أطوار العمر والميلاد والزواج والموت وما يتعلق به.
- ت. جسم الإنسان وصفاته من طول وقصر وبدانة ونحافة وغيرها.
- ث. أسماء الصناعات والصناع.
- ج. النقود والتجارة والأعداد.

ح. الوقت وأقسامه وظروف الزمان وظروف المكان.

خ. الأرض والمعادن.

د. الأجرام السماوية والظواهر الجوية والأشجار والأزهار.

ذ. الملابس والأقمشة والغزل والنسج والحياسة والغسل...الخ.

وتُنسخ نُسخ عدة من هذا الكتاب تُعطى للمسجلين اللغويين الذين ينبغي أن يكونوا مدربين تدريباً كاملاً من الناحية الصوتية، ويذهب المسجل إلى القرية أو المدينة ويقضي فيها أربعة أيام أو خمسة يسأل في أثناءها بعض ثقاتها عن جميع ماورد في كتاب الأسئلة مستوضحا إياهم ما يحتاج إلى إيضاح، وواقفا منهم على التعبير الدقيق، والنطق الصحيح لكل مايراد معرفته والإجابة عنه في الكتاب المذكور مدونا الاجابات في الصفحات المقابلة للأسئلة. وعلى المسجل اللغوي أن يدون ما يجده غريباً في هذه البلاد أو تلك من مختلف أنواع الملابس والأدوات المنزلية والآلات الزراعية والصناعية مسجلاً أساءها المختلفة؛ لن كثيراً من هذه الأشياء في تغير دائم فمنها ما يرقى ومنها ما يفنى.

ويشترط في الشخص الذي توجّه إليه الأسئلة وهو (الراوي اللغوي) أن تتوفر فيه الأمور التالية:

١. أن يكون من صميم أبناء البلدة التي يعيش فيها.
٢. إلا يكون قد نزح عنها إلى بلاد غيرها ثم عاد إليها حتى لا تتأثر لهجته الخاصة بمؤثرات خارجية أو تختلط بلهجات أخرى.
٣. أن يكون صريحا صادقا مخلصا في الاجابة على ما يوجّه إليه من أسئلة لا يداور السائل ولا يطوى عنه شيئا.
٤. ألا يكون متأثرا بعوامل ثقافية يكون لها دخل في تغيير لهجته.
٥. أن يكون سليم مخارج الأصوات تام القدرة على فهم السؤال والتعبير عن نفسه، وعلى إدراك المراد إدراك يقظ خبير فطن.

فالراوي إذا ما انطبقت عليه هذه الشروط يستطيع أن يمثل بلدته تمثيلا صحيحا . وقد توجد مسميات يمكن تصويرها فعندئذ تستخدم الصور حتى لا يقع الراوي اللغوي تحت تأثير صيغة الكلمة الموجودة في السؤال.

ويتم ارتياد المدن والقرى المعينة على الخريطة التي وضعت أساسا للعمل تقوم بجمع صيغ اللفظ ومرادفاته في البلاد المختلفة وأخذَ في دراستها وترتيبها تمهيدا لوضعها في شكلها النهائي وصورتها الأخيرة على الخريطة.

والمادة اللغوية أما أن تُكتب بالطريقة الصوتية إما أن تُسجل على جهاز تسجيل، أو تستخدم الطريقتان معا.

وتتم بعد ذلك مرحلة المقابلة والمعارضة فكل كلمة أو عبارة أو إصطلاح يوضع على خريطة مستقلة كبيرة للمنطقة.

والمثال على ذلك يحتوي الأطلس اللغوي في فرنسا على خريطة منفصلة كبيرة لكلمة(حصان) كما تستعمل في لغة الكلام تمثل خمسمائة منطقة فرنسية مختلفة.

الفرق بين الطريقتين

١. الطريقة الألمانية بالشمول لأنها لا تترك جهة إلا ذكرت رواية اللفظ فيها.
٢. الطريقة الفرنسية أدق من الألمانية لأن المسجلين اللغويين قد درّبوا التدريب الكافي في مسائل اللغويات والأصوات، وبذلك يعدّون ثقة فيما يدونون عن الرواة اللغويين.
٣. الطريقة الفرنسية طريقة مباشرة في الأسئلة فليس هناك إنموذج يمكن أن يؤثر على انطلاق الراوي على سجيته بعكس الطريق الألمانية لأن جملها الأربعين غير مباشرة قد تؤثر على لغة الراوي، لذلك كانت الطريق الألمانية أقل دقة من الطريقة الفرنسية في هذه النقطة.

عيوب الأطلس اللغوي

من أهم العيوب أن الأطلس اللغوي لا يثبت على مر الزمن مادامت اللهجات المحلية تتغير ربما بدرجة أسرع من اللغة الأدبية ، لذا ففي بعض الأحيان يعاد المسح اللغوي بعد مرور سنوات عدة، ويصبح من الممكن حينئذ عمل مقارنة بين نتائج الأطلسين وتكوين صورة شبه تاريخية عن التغيرات المتشابكة في كلام مجتمع معين.

الأطلس اللغوي في الوطن العربي

هناك محاولة واحدة قام بها المستشرق الألماني برجشتراسر ، فقد شرع بعمل أطلس لغوي لبلاد فلسطين وسوريا ولبنان في سنة ١٩١٤م، فقد حصل على اجازة من جامعة ليبزج الألمانية ليقضي شهورا ليقضيها في الآستانة(تركيا) ثم بعدها سافر إلى سوريا ثم إلى فلسطين ولبنان.

وقد وصف برجشتراسر دراسة اللهجات قبله بأنها:

١. كانت تقتصر على دراسة كل لهجة محلية دراسة مستقلة.
٢. افتقارها إلى التكملة عن طريق دراسة الفروق اللغوية في مناطق كبيرة باستخدام الجغرافية اللغوية.

خصائص ومميزات عمل برجشتراسر في الأطلس اللغوي

١. إنَّ عمله كان عملاً وصفيًا بحثًا، فهو يُعنى بالواقع اللغوي ويسجله ولا يهتم بالبحث في أصول الظواهر اللغوية.
٢. اعتمد على الطريقة الألمانية في أطلسه.
٣. كان برجشتراسر هو المسجل اللغوي، ولم يستعن بأحد.
٤. قام بعرض جمل معينة على راوي اللهجة.
٥. اشترط أن تكون الجُمْل متصلة بعضها ببعض في سياق قصة من القصص الشائعة في المنطقة، لإمكانية دراسة الظواهر النحوية في التراكيب؛ لأنَّ ثبت الكلمات المفردة يركز على الأسماء والأعداد ومخارج وصفات الحروف على الأغلب، وهذا فيه إهمال للجانب النحوي.

الجانب العملي في دراسة برجشتراسر للأطلس اللغوي

اختر برجشتراسر نصًا عرضه على رواة اللهجة من عامة النَّاس، وهذه القصة معروفة ومتداولة في دمشق، والمعروفة بقصة (الفلاح والثور والحمار والديك) وقد أخذها من أحد الكتب الأجنبية (كتاب أوستروب Oestrup)، وقد أعاد كتابتها مرّة أخرى كي يبتعد عن الصيغ الفصيحة، ولكي يتأكد من عريبتها الدمشقية، ثُمَّ عرضها على أحد الرواة من دمشق فأقرّها.

القصة

تتكون من عشرين جملة، هي:

(١) كان فيه رجل فلاح (٢) بيعرف كلام الحواوين (٣) وعندو حمار وتور (٤) التور يحرت الأرض (٥) والحمار يركب عليه الفلاح (٦) يوم من الأيام قال التور للحمار (٧) أنا طول النهار باشتغل (٨) وانت بتقعد (٩) مابتعمل شى منوب (١٠) ياريتتي متلك يوم واحد (١١) اعطيني نصيحة إشما كان (١٢) شو بدى أعمل (١٣) قاللو الحمار عندي نصيحة (١٤) قاللو فرجيني شو عندك (١٥) قاللو الليلة لاتاكل عليك (١٦) بيجي صاحبنا بيشوفك (١٧) بيظن أنك ضعيف (١٨) بيد شرك يومين تلاتة (١٩) قاللو التور إيو الله هادا راى (٢٠) رايح اعمل هيك.

وقد درس برجشتراسر هذه الجمل التي تنتمي إلى القصة الدمشقية المعروفة، ووجد ما يأتي:

• الناحية الصوتية

لاحظ أنّ صوت (الكاف) يختلف نطقه بين البدو والحضر، بين (الكاف) وصوت (تش).

١. المدن تنطق بصوت (الكاف).

٢. وجد نطقاً لأناس يُسمون بالسُّلط ينطقون بالصوت (تش)، وهم قوم من البدو، والمتعلمون منهم ينطقونه بصوت الكاف.

٣. وجد نطقاً لمنطقة (عنيزة) في الشمال تنطق بصوت (تش) بدلاً من الكاف.

٤. في منطقة (سُولم) يتأرجح النطق بين (تى — Ty)، و (تش).

• الصيغ

لاحظ برجشتراسر اختلافًا في نطق الضمير (نحن).

١. ينطقه الحضريون في الشمال، وعدد قليل جدا من البدو بـ (نَحْنًا).
٢. ينطقه الحضريون في الجنوب والبدو في الغرب بـ (إِحنًا).
٣. ينطقه البدو في الشرق بـ (حِنًا).
٤. ينطقه عدد قليل من البدو بـ (لِحْنًا).

• المفردات

وجد اختلافًا في كلمة (الآن) على النحو الآتي:

١. البدو وبعض الحضريين في شرق الأردن يستخدمون في معنى كلمة (الآن) كلمة (هَسَّعْ) أو (هَسَّاعْ).
 ٢. أما باقي الحضريين فإنهم يستخدمون (هَلَّقْ) أو (هَلَّقَتْ) أو (هَلَّأتْ)، وما أشبه ذلك. وجد اختلافًا في كلمة (في عَرَضِكَ)
 ١. الحضر في الجنوب الغربي يقولون (في عَرَضِكَ) أو (بِعَرَضِكَ).
 ٢. البدو هناك يقولون: (دِخَالِك) وباقي المناطق تقول: (دَخِيلِك).
- هذه بعض الأمثلة التي وردت عند برجشتراسر.

المرجع

... المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، د. رمضان عبدالنواب